الكوفة في مرويات الإمام الصادق عليه السلام - كوفان الماضي والمستقبل

الباحث
الشيخ مصطفى شير علي
الحوزة العلمية ـ النجف الأشرف

المقدمة:

يتناول هذا البحث الكوفة بشكل عام ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، من كتاب (وسائل الشيعة ومستدركها)، وأخذت هذا الكتاب الذي يجمع كتابين مهمين وهما: كتاب (وسائل الشيعة للحر العاملي)، وكتاب (مستدرك الوسائل للمحدث النوري)، والسبب في حصر البحث في هاذين الكتابين، يرجع الى صعوبة الإلمام بكل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حق الكوفة من بقية الكتب، والسبب الآخر هو ان هاذين الكتابين جمعا اغلب التراث الشيعي من الكتب الأربعة وغيرها وهو ما لا يتوفر في بقية الكتب، وأخذت الإمام الصادق أنموذجا فيمن روى من أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الكوفة، لأنه أكثر من روى في الكوفة وفضلها، وسكن فيها بعد أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام لمدة سنتين، وأيضا لأنها كانت مركز الإشعاع الفكري لجماعة الشيعة في زمانه، اذ ان مسجد الكوفة كان يعج بالمحدثين عن الإمام الصادق عليه السلام، ولوجود الأسر العلمية التي تتلمذت على يده من الكوفة كآل أعين، ولهذا آثرت الاهتمام بالبحث عن علاقة الإمام الصادق عليه السلام بهذه المدينة، لبيان فضل الكوفة التي ظلمها وعاظ السلاطين.

تمهيد

يعد عصر الإمام الصادق عليه السلام، عصرا ذهبيا للعلم والمعرفة، اذ اخذ الشيعة في هذه الفترة ما يغنيهم من فيض علمه الى يوم القيامة، فلو قام أي شيعي بمطالعة سطحية لكتاب (الكافي للكليني) فقط، لوجد ان اغلبه مروي عن الإمام الصادق عليه السلام، و ذلك لما أتيح له من فرصة الحرية بين الدولتين الأموية والعباسية، ولما عرف من سعة مدرسته العلمية في مختلف العلوم والمعارف، كالفقه والتفسير والرياضيات والفلك والطب والفيزياء والكيمياء والمنطق، وغيرها من العلوم التي كانت مجهولة أو مركونة على الرف، وأيضا لوجود أرضية

زرعت من زمن جده وأبيه عليهم السلام أدت الى كثرة وفود طلبة العلم من اغلب الأمصار والأطراف الإسلامية الى مدرسته في المدينة المنورة، إلا ان الملاحظ من خلال الدراسة والفحص، ان تأثير هذه المدرسة انصب في الكوفة أكثر من غيرها، اذ تجد ان اغلب أصحاب الإمام الصادق عليه السلام هم من الكوفة، ومعروف ان مسجد الكوفة في زمانه عليه السلام كان يعج بتلامذته، الذين رووا علمه في حلقاتهم العلمية، لذلك نستطيع القول ان ما يصطلح عليه اليوم (بالحوزة العلمية)، كانت قائمة حينها في موضعين رئيسيين هما المدينة المنورة، والكوفة.

ولكن الكوفة التي عرفت بتشيعها لأهل البيت عليهم السلام، عانت الظلم والجور ، وخصوصا من وعاظ السلاطين الذين وبأمر من السلطة الأموية ثم من بعدها العباسية، اخذوا بذم الكوفة، وقاموا بوضع الأخبار في ذمها، والحط من شأنها، ووصفها بأنها مدينة الغدر، وما فعلوا ذلك إلا لولاء الكوفة الى آل بيت النبي صلى الله عليه وآله، فقد كانت الكوفة ترسل أولادها في حال السلم الى الإمام الصادق عليه السلام، لكسب العلم والمعرفة، وفي حال الحرب ترسل أولادها مع الثوار العلويين كثورة زيد الشهيد وثورة إبراهيم بن عبد الله المحض.

كل هذه الإساءة، كانت على مرأى ومسمع الإمام الصادق عليه السلام، فما كان منه إلا ان قام ببث أقواله في فضل الكوفة وأهلها، وتاريخها مع الأنبياء والمرسلين، ومستقبلها كعاصمة لدول العدل الإلهية، ومقام للإمام الحجة (عج)، ليعرف بذلك الشيعة الى فضل هذه الأرض، وفضل أهلها، وهذا ما سنحاول بيانه في هذا البحث ان شاء الله تعالى.

الفصل الأول

المبحث الأول

الكوفة

يبدأ تاريخ الكوفة مع أبونا ادم عليه السلام لا من حين تمصيرها وهذا ما يجب ان نعرفه من نشأتها فان تاريخها مع الأنبياء يشير الى عمقها التاريخي والحضاري وهذا ما سيعرفنا عليه الإمام الصادق عليه السلام في هذا البحث ولهذا نستطيع ان نقول ان تاريخها الحديث يبدأ مع معركة القادسية حيث كانت معسكرا حتى تم تمصيرها في نهاية سنة ١٧ وبداية ١٨ للهجرة.

وكان الهدف من تمصيرها جعلها مركزا عسكريا يمد الفتوحات بالقوات العسكري وهذا ما كان يقصده عمر بن الخطاب من تمصيرها فقد خاطبهم يوما: يا أهل الكوفة: (انتم كنز الإسلام ان أستمدكم أهل البصرة أمددتموهم وان أستمدكم أهل الشام أمددتموهم)[١].

هذا وقد (كانت الكوفة واسعة كبيرة وتتصل قراها وجباناتها الى الفرات الاصلي وقرى العذار فهي تبلغ ستة عشر ميلا وثلثي ميل)[٢] و(قال البراقي: احد حدودها خندق الكوفة المعروف بكري سعد والحد الاخر القاضي الذي هو بقرب القائم الى ان يصل قريبا من القرية المعروفة اليوم بالشنافية والحد الاخر الفرات الذي هو ممتد من الديوانية الى الحسكة الى القرية المعروفة اليوم ب (ابو قوارير) وهي منزل الرماحية والحد الرابع قرى التي هي من نواحي الحلة السيفية)[٣].

وأما إداريا فقد (صارت اعمال العراق تتبع لها من اعمال الفرس الباب واذربيجان وهمدان والري واصبهان وماه والموصل وقرقيسياء، وكلها في الجهة الشمالية)[٤]، وهذا يدلل على اهميتها الادارية والسياسية والعسكرية.

وأما اقتصاديا فإنها كانت ملجأ مهما لبيت مال المسلمين وفي انعاش حياتهم اذ انها ارض السواد وتحوي نهرين دجلة والفرات فقد قالوا: منزل الكوفة فلم يقر لهم بفضل ثلاث فليست لهم بدار، بفضل ماء الفرات، ورطب المشان، وفضل امير المؤمنين عليه السلام[٥].

تاريخها مع أهل البيت عليهم السلام وولائها لهم.

بعد تمصير الكوفة صار لها مركزا سياسيا ليس له مثيل في تاريخ المسلمين، فقد استطاعت الكوفة ان تفرض نفسها على الساحة الإسلامية كما حدث معها في تغيير عدد من الولاة في عهد عمر وكان لهم القول الفصل في الانقلاب على الحكم الأموي المتمثل بحكم عثمان بن عفان حيث انتفضت مع بقية الأمصار الإسلامية معلنة رفضا للسياسة التسلطية على رقاب المسلمين وكانت لها اليد الطولى في هذه الأحداث حتى أصبح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على سدة الحكم وقام باختيار الكوفة عاصمة لدولته بعد معركة الجمل اذ يقول: ((اما بعد فاني اخترتكم والنزول بين أظهركم لما اعرف لمودتكم وحبكم لله عز و جل ولرسوله صلى الله عليه وآله[٦] والسبب واضح في كلامه عن سبب اختياره لها، وفعلا قامت الكوفة بنصره ومؤازرته في ثلاث حروب، هكذا ارتبطت الكوفة بخط الإمام علي عليه السلام ومن

بعده بايعت الإمام الحسن عليه السلام وناصرته وقد ظلمت الكوفة أيما ظلم في قضية الإمام الحسن عليه السلام أتمنى في يوم من الأيام توضيح هذه القضية في دراسة مفصلة ان شاء الله، ولكن نقول يخطأ من يظن أنهم خذلوا الإمام الحسن عليه السلام بل ان المتبصر إذا تفطن جيدا يجد ان الإمام كان قويا وان جيشه كان على الاستعداد التام لقتال معاوية، لكن ما حدث ان الإمام عليه السلام أراد هذا الصلح من اجل فضح معاوية وأساليب البيت الأموي وهذا ما تم بالفعل اذ من خلال الصلح تعرف الناس الى الوجه الثاني لدمشق، ولعمري كيف يكون من يفرض شروطه في الصلح ضعيفا، ولم تزل الكوفة معلنة مسيرها على خط الإمام علي عليه السلام ((مع ان يا من علي وأولاده لم يسكن الكوفة او يزرها قبل توليه الخلافة ثم بعد اغتياله (استشهاده)، وإنما كان مقام معظمهم في المدينة الا ان لأهلها صلة وثيقة بعلي الذي اتخذها مقر خلافته))[٧]، وبالفعل كانت الصفة الغالبة للكوفة هي التشيع فلم يرتضي معاوية ذلك حتى قام بتغيير ديمغرافي في الكوفة والبصرة يلائم سياسته المستقبلية مع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فقام بتهجير خمسة وعشرين ألف عائلة من الكوفة ونضير هذا العدد من البصرة ممن عرف بولائه لأهل البيت عليهم السلام وقام بإسكان نظرائهم من قبائل الشام الذين صبغوا بالولاء لبني أمية وتم ذلك في سنة (٥١) هـ[٨]، فيا ترى كم سيصبح هؤلاء الشاميين بعد عشر سنين في حرب غير متكافئة جرت في كربلاء في سنة (٦١) هـ قتل خلالها سبط النبي صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه، الذين كانوا جلهم من أهل الكوفة، وأما البقية فملئت بهم سجون ابن زياد حتى يحجبوا عن نصرة سيدهم الإمام الحسين عليه السلام، لكن الكوفة انتفضت من جديد ثائرة بوجه بني أمية تنادي (يالثارات الحسين)، بقيادة سليمان بن صرد، ثم بقيادة المختار الثقفي قامت الكوفة من خلال هاتين الثورتين بقتل قتلة الإمام الحسين عليه السلام ولكن لم يطل الأمر حتى أطلت السحب السوداء على الكوفة لأنها مركز الشيعة فمن دولة الزبير الى دولة الحجاج التي كانت اشد الحكومات وطأة على شيعة الكوفة والعراق ولم يدم الحال حتى دب الضعف ينخر في أركان الدولة الأموية، فأخذت الكوفة تتنفس الصعداء ولجئت خلال هذه الفترة إلى الإمام الصادق عليه السلام، مرسلة أفلاذ أكبادها الى جامعته العلمية، بل ان الكوفة تحولت الى جامعة علمية بوجود تلاميذه فيها.

المبحث الثاني

الإمام الصادق عليه السلام

ولد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في يوم ميلاد جده المصطفى صلى الله عليه وآله في السابع عشر من ربيع الأول سنة (٨٢هـ)[٩]، ويا لها من مناسبة تنبي عن مستقبل مشرق للأمة الإسلامية إذ انه المحيي لرسالة جده صلى الله عليه وآله والمزيل عنها غبار الظلم والاستبداد إلى عالم مشرق بالعلم والمعرفة، هكذا ولد الإمام عليه السلام من سلالة خلقت بعين الله (سبحانه وتعالى)، وأما أمه فهي السيدة الجليلة أم فروة بنت الفقيه القاسم بن محمد بن أبي بكر.

وأما النشأة ففي بيت النبوة ومنزل الوحي وكان الإمام عليه السلام برعاية جده الإمام زين العابدين عليه السلام وأبيه الإمام الباقر عليه السلام، وهذه النشأة كانت في مجتمع لا يرى أهل البيت عليهم السلام إلا نسل رسول الله صلى الله عليه وآله، او انهم من التابعين فلم يكونوا شيعة لأهل البيت بالرغم من مقام الأئمة في المدينة حتى قال الإمام السجاد عليه السلام: ((ما بمكة والمدينة عشرون رجلا يحبنا))[١٠]، ولكن وبالرغم من الحصار الديني والسياسي والاجتماعي استطاع أهل البيت عليهم السلام إحياء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الأرجاء المعمورة وبالخصوص في المدينة المنورة والكوفة من خلال دروسهم التي لم تترك علما الا وتناولوه وكان لهم اليد الطولى فيه وقد وردت قصة توضح لنا اهتمام أهل البيت بتدريس مختلف العلوم في مدرستهم المباركة اذ كانت مدرسة الامام الباقر وحلقات دروسه تنعقد في مسجد النبي صلى الله عليه وآله ودخل الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي الى المسجد النبوي فشاهد ما انجز من اعمال التعمير والتوسيع فسره ذلك ثم اتى الى رواق الامام الباقر عليه السلام وسلم على الامام فتوقف الامام عليه السلام عن التدريس ولكن الوليد طلب منه المضي فيه وكان موضوع الدرس الجغرافيا فاستمع الخليفة الى حديث الامام عليه السلام وكان غريبا على مسمعه فسال الامام عليه السلام: ما هذا العلم؟

فأجابه: انه علم يتحدث عن الارض والسماء والشمس والنجوم، فوقع نظر الخليفة على الامام جعفر الصادق عليه السلام بين الحاضرين، ولم يكن قد راه من قبل، فسال عمن يكون هذا الصبي بين الرجال؟

فقال عمر بن عبد العزيز – وكان والي المدينة في حينها –: هو جفر بن محمد الباقر عليه السلام.

فاعجبه ذلك وسال هل هو قادر على فهم الدرس واستيعابه؟.

فقال عمر بن عبد العزيز: انه اذكى من يحضر درس الامام واكثرهم سؤالا ونقاشا.

فاستدعاه الوليد وسأله: ما اسمك

فقال: جعفر.

قال الوليد: اتعلم من كان صاحب المنطق؟

اجابه الامام عليه السلام: كان ارسطو ملقبا بصاحب المنطق، لقبه اياه تلامذته واتباعه.

قال الوليد: ومن صاحب المعز؟

فقال الامام عليه السلام: ليس هذا اسما لاحد، ولكنه اسم لمجموعة من النجوم، وتسمى ايضا ((ذو الاعنة)).

فاستولت الحيرة على الوليد وعاد يساله: هل تعلم من صاحب السواك؟

فقال الامام عليه السلام: هو لقب عبدالله بن مسعود صاحب جدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال الوليد مرحبا ومرحبا بك، وخاطب الامام الباقر عليه السلام قائلا: ان ولدك هذا سيكون علامة عصره(١١).

نعم ليس لهم مثيل في الأرض، فهم ينبوع الحكمة والمعرفة، وعلى رغم من ذلك عانى الإمام عليه السلام في نشأته ما عاناه جده وأبيه عليهما السلام في ذلك الزمان الا ان هذه النشأة كشفت عن شخصيته عند المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، وتعرفت الناس على إمكاناته العلمية.

جامعة أهل البيت ورائدها الإمام جعفر عليه السلام.

تهيأت الأجواء للإمام الصادق عليه السلام في إكمال المسيرة العلمية لجده وأبيه عليهما السلام وذلك بنهاية دولة بني أمية وبدايات دولة بني العباس قام الإمام عليه السلام وخلال فترة قياسية ببث العلوم وتوعية الناس وتربية الشيعة حتى ان ما نحن عليه من علوم شرعية فإنما هي من نمير تلك المدرسة العلمية (قال الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨ في كتابه "أعلام الورى" روى عن الإمام الصادق عليه السلام من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف إنسان، وصنف من جواباته في المسائل أربعمائة كتاب تسمى بالأصول(١٢).

أقول: إذا كان من روى عن الإمام عليه السلام هم مشهوري أهل العلم وقد بلغوا أربعة آلاف ماذا عن غيرهم ممن نهل من علمه؟ فبالتأكيد كانت هذه المدرسة تحوي أكثر من العدد المذكور انما من كان مؤثرا منهم فقد بلغ هذا العدد هذا وقد كانت (الطبقة الرابعة من روى عن الصادق عليه السلام وأدرك بعضهم برهة من زمان أبيه عليه السلام، وهم رجالات كثيرة، فيهم الفقهاء وأصحاب التصانيف والأصول، يزيد عددهم على أربعة آلاف)[١٣]، هذا وكانت الركيزة الأساسية التي اعتمدت عليها هذه المدرسة هي التدوين فقد اهتم اهتماما كبيرا بالتدوين وكان يأمر أصحابه بذلك وهو ما أفاد الشيعة فيما بعد بما يعرف اليوم بالأصول الأربعمائة التي دونوها .

الإمام عليه السلام وعصره السياسي:

شهد الامام عليه السلام اضطرابات سياسية كادت ان تقضي على الامام نفسه لولى ستر الله (سبحانه وتعالى) فكانت أي ثورة يقودها علوي ينعكس تأثيرها على الامام عليه السلام فقد عاصر عليه السلام ثورة عمه زيد بن علي وابنه يحيى بن زيد (رضوان الله عليهما) في عهد بني امية ثم لما قامت الدولة العباسية اخذت تحاصر الحسنيين الذين عانوا ما عانوا في سجن المنصور الدوانيقي فثار محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض في المدينة المنورة ثم ثار بعده اخوه ابراهيم بن عبدالله المحض في البصرة وكادت ثورته ان ترمي بالعباسيين الى مزابل التاريخ لولا ان قتل ابراهيم وسط ذلك كله كان الامام عليه السلام يعاني اشد المعاناة فما كانت تبدا ثورة الا وتنتهي باعتقال الامام او احضاره الى السلطة وقد استدعاه المنصور ما يقارب تسع مرات[١٤]، اراد فيها قتله ولكن الامام عليه السلام كان ينجو بالمعجزة.

هذا ما عاصره الامام عليه السلام وعاناه وكانت اشد معاناته ايام العباسيين عند اشتداد امرهم.

المبحث الثالث

مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الكوفة

البيوتات العلمية في الكوفة:ـ

بالرغم من سكنى الإمام الصادق عليه السلام في المدينة المنورة الا ان الكوفة كانت تشع بعلومه وكانت هي النافذة لانطلاق علوم أهل البيت عليهم السلام فيها إذ قد ((أدرك الحسن بن علي

الوشاء في عصر واحد تسعمأة رجل منهم في مسجد الكوفة كل يقول: حدثني جعفر بن محمد عليه السلام))[١٥].

ويرجع هذا التأثير إلى وجود أرضية مهيأة للإمام عليه السلام في الكوفة لكثرة الشيعة فيها ولوجود بيوتات علمية كبيرة أسهمت في إبراز مدرسة الإمام الصادق عليه السلام مثل آل أعين (وهم اكبر بيت في الكوفة من شيعة اهل البيت عليهم السلام واعظمهم شانا واكثرهم رجالا واعيانا واطولهم مدة وزمانا ادرك اوائلهم السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، وبقي اواخرهم الى اوائل الغيبة الكبرى، وكان فيهم العلماء والفقهاء والقراء والادباء ورواة الحديث)[١٦]، وكان أبرزهم زرارة بن أعين تلميذ الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام فعن ابن أبي عمير قال: قلت لجميل بن دراج: ما أحسن محضرك وأزين مجلسك! فقال: أي والله ما كنا حول زرارة بن أعين الا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم[١٧].

هذا وقد ((روى جماعة من آل أعين عن أبي عبد الله عليه السلام وذكرهم الشيخ وغيره في أصحابه فمن بني أعين: بكير، وحمران، و زرارة، وعبد الأعلى وعبد الرحمان، وعبد الملك، وعبد الجبار، وعبد الله، وسميع، و ضريس، وعمران، وعيسى، و قعنب، ومالك، ومليك، وموسى))[١٨]، وكل من حمران وبكير وزرارة وعبدالملك وقعنب ومالك رووا اولادهم عن ابي عبدالله عليه السلام[١٩]، وقد كتب ابي غالب الزراري رسالة في تاريخ اجداده وسماه (تاريخ ال زرارة)[٢٠].

وهناك من العوائل الكبيرة الاخرى التي ارتبطت بمدرسة اهل البيت عليهم السلام وبالخصوص مع الامام الصادق عليه السلام ومنها: (ال ابي جعد، ال ابي سارة، ال ابي شعبة الحلبيون، ال حيان التغلبي، ال ابي اراكة، بنو الحر الجعفي، بنو الياس البجلي، بنو عبد ربه بنابي ميمونة بن يسار الاسدي، بنو ابي سبرة، بنو سوقة، بنو نعيم الصحاف، بنو عطية، بنو رباط، بنو فرقد، بنو دراج، بنو عمار البجلي الدهني)[٢١]، اسهمت هذه العوائل بشكل كبير في نشر ثقافة اهل البيت عليهم السلام، والامام الصادق عليه السلام، فهذه العوائل من المؤكد انها من التي ادركها الوشاء في مسجد الكوفة، بذلك العدد الهائل من العلماء الذين كانوا يقولون حدثنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ولو دققنا النظر في هذا الخبر نجد ان مسجد الكوفة كان جامعة علمية قد لا تصل اكبر الجامعات الرصينة في عصرنا الحاضر، اذا ما قسناها الى تطورها

بالنسبة الى ذلك الزمان، حيث حوت على تسعمائة صف في كل صف عدد من التلامذة، الذين ينهلون من منهل الصادق جعفر عليه السلام.

الفصل الثاني

المبحث الأول

القران الكريم

وردت أربع روايات عن الإمام الصادق عليه السلام، تؤكد ان هناك أربع آيات من القران الكريم اختصت بها الكوفة، وهي:

١- ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢٢].

قال أبو عبد الله عليه السلام: شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله تعالى في القران الكريم - هو الفرات، والبقعة المباركة هي كربلاء[٢٣].

تذهب الرواية الى ان الله (سبحانه وتعالى) خاطب موسى عند الشجرة من شاطئ الوادي الأيمن (الفرات) والبقعة المباركة (كربلاء) ويدعم ذلك ان أمير المؤمنين عليه السلام قال عنها أنها أول طور سيناء كما جاء في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام إذ نأتي بهذه الرواية من اجل إقامة الدليل على ان الظهر الكوفة هو طور سيناء ويمتد كما في رواية الإمام الصادق عليه السلام الى كربلاء والرواية عن عن أبي جعفر عليه السلام في حديث حدثني به أنه ((كان في وصية أمير المؤمنين عليه السلام أن أخرجوني إلى الظهر فإذا تصوبت أقدامكم واستقبلكم ريح فادفنوني، فهو أول طور سيناء ففعلوا ذلك))[٢٤].

وما يؤكد ان طور سيناء هي الكوفة لا غير حديث الامام الصادق عليه السلام عن الغري: ((... وهو قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليما...))[٢٥].

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٢٦].

٢- ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢٧].

تتحدث الآيتين، عن أحداث ما قبل و بعد الطوفان في الكوفة، وهنا يبين الإمام الصادق عليه السلام، ان هذه الأحداث إنما وقعت في الكوفة وهناك روايتين تتحدث عن ذلك الأولى عن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أرأيت قول الله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ ما هذا التنور؟ وأنى كان موضعه وكيف كان؟.

فقال: كان التنور حيث وصفت لك.

فقلت: فكان بدو خروج الماء من ذلك التنور؟.

فقال: نعم، ان الله أحب ان يري قوم نوح الآية، ثم ان الله بعده أرسل عليهم مطرا يفيض فيضا، وفاض الفرات فيضا أيضا والعيون كلهن فيضا فغرقهم الله تعالى وأنجى نوحا ومن معه في السفينة... وطافت (السفينة) بالبيت ثم استوت على الجودي وهو فرات الكوفة...[٢٨].

والرواية الثانية

إذ يقول الإمام عليه السلام: ((... ثم ورد الى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله للأرض: ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدا الماء منه...))[٢٩].

من خلال هاتين الروايتين وما سيأتي عن علاقة الكوفة بنبي الله نوح يتبين ان الكوفة كانت مسكن نوح قبل الطوفان وبعده وفيها مدفنه مع ادم عليه السلام.

٣- ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[٣٠].

تتحدث الآية عن لجوء مريم العذراء ونبي الله عيسى الى هذه المنطقة كما أيدت ذلك رواية عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز و جل: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: الربوة نجف الكوفة، والمعين: الفرات[٣١].

١ـ الكوفة:

اكتسبت الكوفة رونقا بمديح أهل البيت عليهم السلام لها وبالخصوص ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حقها فالكوفة عند أهل البيت عليهم السلام تختلف عما هي عليه عند غيرهم فالكوفة في حديث المعصومين كما قال الإمام الصادق عليه السلام: ((الكوفة روضة من رياض الجنة))[٣٢]، بل اعتبروها حرما كما روي عن أبي عبد الله أو عن أبي جعفر عليه السلام حين سأله احدهم: اي بقاع الله أفضل بعد حرم الله عوجل وحرم رسوله صلى الله عليه وآله فقال: ((الكوفة يا أبا بكر هي الزكية الطاهر،...، ومنها يظهر عدل الله،...))[٣٣] وفي حديث آخر قال الإمام عليه السلام: ((... والكوفة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي بن أبي طالب عليه السلام الصلاة فيها بألف صلاة...))[٣٤] وفي رواية أخرى مثله وزاد: ((والدرهم فيها بألف درهم))[٣٥] بل اعتبروا ان التصدق فيها ليس كما في غيرها : ((نفقة درهم بالكوفة تحسب بمائة درهم فيما سواها وركعتان فيها تحسب بمائة ركعة))[٣٦] ليس هذا فحسب بل شرفها رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة فيها وقد حدثه عن فضلها جبرائيل اذ يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((... ولقد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث انطلق به جبرئيل على البراق، فلما انتهى به إلى دار السلام - وهو ظهر الكوفة - وهو يريد بيت المقدس قال له: يا محمد هذا مسجد أبيك ادم ومصلى الأنبياء فانزل فصل فيه...))[٣٧] ولا يخفى ان هذه الأرض حيث حوت قبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فإنها تعد بهذا بقعة من بقاع الجنة كما جاء عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة...))[٣٨] وبهذا نعرف ان الكوفة اكتسبت قدسيتها وتعرف الناس الى عظم فضلها من خلال أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

٢ـ أهل الكوفة:

كان لأهل الكوفة نصيبا في مديح الإمام الصادق عليه السلام اذ يقول عنهم الإمام: ((ان ولايتنا ولاية الله -عز و جل- التي لم يبعث نبي قط الا بها، ان الله -عز اسمه- عرض ولايتنا على السماوات والأرض والجبال والأمصار لم تقبلها قبول أهل الكوفة،...))[٣٩] لولا ان هذا البحث اختص بما ورد بكتابي الوسائل والمستدرك لكان الحديث عن أهل الكوفة اكبر ولكن ليس المهم عندنا الكثرة بقدر أهمية الفكرة اذ لو لم يكن لأهل الكوفة مدح سوى هذا الحديث لكفى لقبولهم ولاية أهل البيت عليهم السلام.

٣ـ مسجد الكوفة.

كان لمسجد الكوفة النصيب الأكبر في حديث الإمام الصادق عليه السلام فقد ورد ستة وعشرين حديث أربعة عشر حديثا في الوسائل واثنا عشر حديث في مستدرك الوسائل وردت عن الإمام عليه السلام في مسجد الكوفة وقامت هذه الأحاديث ببيان أهمية المسجد وفضله وفضل الصلاة فيه وتاريخه وأكثر ما شرحناه من مواضيع في هذا المبحث وفي المبحث الثاني وما ورد فيها من نصوص إنما كانت تخص مسجد الكوفة ومسجد السهلة ولهذا لم استطع التفصيل منعا للإطالة(٤٠).

٤ـ مسجد السهلة.

أما ما ورد في حق مسجد السهلة فهو خمسة عشر حديث ستة منها في كتاب الوسائل وتسعة من كتاب المستدرك تناولت تاريخ المسجد ومستقبله (كبيت للإمام الحجة (عج)) وفضله وأهميته وقد اعرضنا عن التفصيل منعا للإطالة لوجود هذه الأحاديث ضمنا في مواضيع الفصل الثاني بمبحثيه(٤١).

٥ـ قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

تشرفت الكوفة بضم قبر أمير المؤمنين عليه السلام في ظهرها في سنة (٤٠) للهجرة كيف لا وقد اختارها الله بقعة له حين خاطب نوح عليه السلام في رواية الإمام الصادق عليه السلام : ((... فإنها بقعة له (ادم عليه السلام و لك ولعلي بن أبي طالب وصي حبيبي محمد صلى الله عليه وآله))(٤٢) إلا ان قبره أحيط بسرية تامة في أيام بني أمية خشية نبشه وهم من شتموه ثمانين سنة على منابرهم حتى أزال الله ملكهم وجاءت دولة بني العباس فبدأ الإمام الصادق عليه السلام بالإشارة إلى وجود قبره في الكوفة وتحديدا في الغري وبدا يحث أصحابه على زيارة الإمام عليه السلام وقد قام بنفسه بزيارة أمير المؤمنين حين كان يستدعيه المنصور الدوانيقي وحين إقامته في الكوفة مدة سنتين وهذا ما سنعرفه من الروايات.

تعيين قبره:

١- ((نحن نقول بظهر الكوفة قبر لا يلوذ به ذو عاهة إلا شفاه الله (س)))(٤٣).

٢- ((ان إلى جانب كوفان قبرا ما أتاه مكروب قط فصلى عنده ركعتين او أربع ركعات

إلا نفس الله كربه وقضى حاجته قال، قلت: قبر الحسين بن علي عليه السلام؟ فقال لي برأسه: لا، فقلت: قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال برأسه: نعم))[٤٤].

٣- ((قبر علي هو في الغري ما بين صدر نوح وفرق رأسه مما يلي القبلة))[٤٥].

٤- ((انك إذا أتيت الغري رأيت قبرين قبرا كبيرا وقبرا صغيرا، فأما الكبير فقبر أمير المؤمنين عليه السلام وأما الصغير فرأس الحسين عليه السلام))[٤٦].

٥- ((... فإذا زرتم مشهد أمير المؤمنين عليه السلام فزوروه على انه مشهد ادم ونوح وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم) أجمعين))[٤٧].

زيارة الإمام عليه السلام لجده أمير المؤمنين عليه السلام.

زار الإمام الصادق عليه السلام جده أمير المؤمنين عليه السلام عدة مرات كما يظهر من الروايات فقد كان يزوره أثناء إقامته في الكوفة وأيضا بمجيئه أكثر من مرة إلى الكوفة أثناء حكم العباسيين كما سنعرف من الروايات في النقطة التالية.

٦- موضع ومدفن رأس الإمام الحسين عليه السلام.

تحدث الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام في استحباب زيارة رأس الحسين عليه السلام عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام عن أمرين مهمين:

أ - الأمر الأول: هو استخدام الإمام الصادق عليه السلام لكلمة (موضع) فأما الروايات التي تقول بأن الإمام عليه السلام زار موضع رأس الحسين عليه السلام فهي ثلاث روايات تكاد تتشابه أحداثها إلى حد كبير وهذه الروايات اما ان تقصد بكلمة (موضع) انه مدفن رأس الحسين عليه السلام أو ان تقصد انه الموضع الذي وضعوه فيه أثناء السبي وهذا ما قصدته الرواية الرابعة التي تقول: ((جاز الصادق عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغري فصلى عنده ركعتين، فقيل له ما هذه الصلاة؟ فقال: هذا موضع رأس جدي الحسين بن علي عليه السلام وضعوه ها هنا))[٤٨] وهذه الرواية واضحة في ان المقصود بالموضع وهو المكان المعروف حاليا بـ (مسجد الحنانة) والأقوى ان الروايات الثلاثة الباقية تقصد مسجد الحنانة لا القبر الصغير المدفون عند أمير المؤمنين عليه السلام ونستعرض رواية واحدة منهن لأنهن يتشابهن في الأحداث.

عن ابان بن تغلب قال: كنت مع ابي عبدالله عليه السلام فمر بظهر الكوفة فنزل فصلى ركعتين، ثم تقدم قليلا فصلى ركعتين، ثم سار قليلا فصلى ركعتين. ثم قال: هذا موضع قبر امير المؤمنين عليه السلام فقلت جعلت فداك! والموضعين اللذين صليت فيهم؟ فقال: موضع رأس الحسين عليه السلام وموضع منزل القائم[٤٩].

والرواية واضح في ان المراد بالموضع هو مسجد الحنانة لا القبر، بدليل انه ذكر موضع منزل القائم اي السهلة وهذه الاماكن ليست في موضع واحد.

ب - الأمر الثاني: هو كلمة (مدفن أو القبر الصغير) اذ حددت ست روايات مدفن رأس الإمام الحسين عليه السلام على انه عند قبر أبيه أمير المؤمنين وشرحت كيفية انتقال الرأس إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام فجاء في الرواية: ((عن الصادق عليه السلام انه زار رأس الحسين عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام وصلى عنده أربع ركعات...))[٥٠].

وقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: ((انك إذا أتيت الغري رأيت قبرين: قبرا كبيرا وقبرا صغيرا، فأما الكبير فقبر أمير المؤمنين عليه السلام وأما الصغير فرأس الحسين عليه السلام))[٥١].

وفي رواية أخرى يروي احدهم قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام وهو بالحيرة: اما تريد ما وعدتك؟ قلت: بلى - يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام - قال: فركب وركب إسماعيل وركبت معهما حتى إذا جاز الثوية - وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض - نزل ونزل إسماعيل ونزلت معهما فصلى وصلى إسماعيل وصليت، فقال لإسماعيل: قم فسلم على جدك الحسن عليه السلام فقلت: جعلت فداك: أليس الحسين عليه السلام بكربلاء؟ فقال: نعم، ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام[٥٢]. وجاءت روايات أخرى مشابهة للرواية الأخيرة ومن أحب فليراجع[٥٣] وذكرت رواية أخرى نفس الحادثة إلا ان الإمام عليه السلام فسر الحادثة بشكل تفصيلي أكثر إذ قال عليه السلام: ((... وان ابن زياد لما بعث برأس الحسين بن علي عليه السلام إلى الشام رد إلى الكوفة، فقال: أخرجوه منها لا يفتن به أهلها، فصيره الله عند أمير المؤمنين عليه السلام فدفن فالرأس مع الجسد والجسد مع الرأس))[٥٤].

المبحث الثاني

الحركة الرسالية في الكوفة

أ - ادم عليه السلام.

تبدأ الكوفة قصتها مع نبي الله ادم أبو البشر عليه السلام ولا تنتهي معه، فالروايات تتكلم عن موارد ربطت الكوفة به وهي:

١- خطه لمسجد الكوفة، اذ يبدوا من الروايات انها تصر على ان تأسيس المسجد كان على يد أبينا ادم عليه السلام اذ يقول الامام الصادق عليه السلام: ((حد مسجد الكوفة آخر السراجين خطه ادم))[٥٥] وصرحت رواية أخرى عنه عليه السلام في مضمون حديثه عن الإسراء والمعراج اذ قال جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله: ((انزل فان هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأول الذي خطه ادم عليه السلام))[٥٦] بل ذكر الامام عليه السلام ان أول من خطه ادم ثم نوح عليه السلام.

٢- ذكرت الروايات ان ظهر الكوفة كان له نصيبا هو الآخر مع أبو البشر عليه السلام اذ تذكر الرواية لما اسري بالنبي صلى الله عليه وآله خاطبه جبرائيل قائلا له: ((يا محمد هذا مسجد أبيك ادم ومصلى الأنبياء))[٥٧] ج٥ ٧٠ والمسجد هنا كما هو واضح محل عبادته عليه السلام فعلى هذه الرواية يكون هذا الموضع مكان خاص بآدم عليه السلام وهذا ما نستطيع استنتاجه من هذه النقطة ومن سابقتها ان ادم عليه السلام سكن الكوفة فترة من حياته كما هو واضح من خطه للمسجد ومحل عبادته في الظهر ولا نستطيع تحديد الفترة التي سكن فيها الكوفة.

٣- المورد الآخر الذي جاءت به الروايات هو تحديد قبر ادم عليه السلام في الغري وهو ظهر الكوفة عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام وهو مشهور في تراثنا قال عليه السلام: ((اذا زرت أمير المؤمنين فعلم انك زائر عظام ادم...))[٥٨] ج١٣ ٢٧١-٢٧٢ وفي مورد آخر يرشد الامام عليه السلام فيها أصحابه لزيارة جده أمير المؤمنين عليه السلام وزيارة ادم ونوح فيقول عليه السلام: ((... ثم عد إلى عند الرأس لزيارة ادم عليه السلام...))[٥٩] ج١٣ ٢٧٢-٢٧٣ وكذلك: ((فإذا زرت جانب النجف فزر عظام ادم وبدن نوح وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام...))[٦٠] ج١٣

٢٧٢-٢٧٣ وكذلك يقول: ((... فزوروه على انه مشهد ادم ونوح وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين)))[٦١] ج١٣ ٢٧٤.

٤- عرفنا من النقطة السابقة ان قبر ادم عليه السلام في ظهر الكوفة بقي ان نعرف كيف انتقل قبره من بيت الله الحرام الى ظهر الكوفة وهذا ما سأله المفضل بن عمر وهو احد أصحابه فقلت: ((يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ان ادم هبط بسراديب في مطلع الشمس، وزعموا ان عظامه في بيت الله الحرام، فكيف صارت عظامه في الكوفة؟ فقال عليه السلام: ان الله أوحى الى نوح عليه السلام وهو في سفينته ان يطوف بالبيت أسبوعا فطاف بالبيت كما أوحى الله اليه، ثم نزل في الماء الى ركبتيه فاستخرج تابوتا فيه عظام ادم فحمله في جوف السفينة... فأخذ نوح عليه السلام التابوت فدفنه في الغري...))[٦٢] ج١٣ ٢٧١-٢٧٢ وهناك رواية أخرى تأكد هذا الأمر بنفس المضمون مع تفصيل آخر ومن أحب فليراجع[٦٣] ج١٣ ٢٧٤.

ب - إدريس عليه السلام.

تحدث الامام الصادق عليه السلام عن إدريس عليه السلام في مضمون حديثه عن مسجد السهلة على انه كان بيتا لإدريس عليه السلام ومحل عبادته و عمله: ((ان مسجد السهلة بيت إدريس النبي الذي كان يخيط فيه ويصلي فيه))[٦٤] ج٥ ٨٥ والإشارة واضحة الى ان نبي الله إدريس عليه السلام كان سكنه دائم في ارض الكوفة واختارها دون البلدان بلدا له ولرسالته وتضافرت سبع روايات أخرى بهذا المضمون ومن أحب فليراجع[٦٥] ج٥ ٨٥-٨٩.

ت - نوح عليه السلام.

ارتبطت الكوفة بنبي الله نوح عليه السلام كما ارتبطت بالنبي ادم عليه السلام ويرتبط الحديث عنه في الكوفة بعدة موارد وهي:

١ـ قومه:

قطن قوم نوح عليه السلام كما هو واضح من الروايات في الكوفة ونعرف ذلك من خلال تصريح الامام عليه السلام: ((وكان منزل نوح وقومه في قرية على متن الفرات مما يلي غرب الكندة))[٦٦] ج٥ ٦٩، وكذلك إشارة الامام عليه السلام الى مكان عبادة أصنام قوم نوح: ((يا

مفضل ها هنا نصبت أصنام قوم نوح يغوث ويعوق ونسرا))[٦٧] ج٥ ٦٩، وايضا ما سيأتي من روايات بناء السفينة في مسجد الكوفة كل ذلك يؤكد ان قوم نوح قبل الطوفان كانوا يقطنون الكوفة.

٢ـ بناء السفينة (الفلك).

تذكر الرواية ان: ((... نوح أول من عمل سفينة تجري على ظهر الماء، وان نوحا لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الهدى، فيمرون به ويسخرون منه، فلما رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ - الى قوله - ﴿إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٦٨] (نوح اية ٢٦-٢٧) قال: فأوحى الله اليه: يا نوح ان اصنع الفلك وأوسعها وعجل عملها بأعيننا ووحينا، فاعمل نوح سفينته في مسجد الكوفة بيده، ويأتي بالخشب من بعد حتى فرغ منها))[٦٩] ج ٥ ٦٩ وفي رواية أخرى: ((وفيه (مسجد الكوفة) نجرت السفينة))[٧٠] ج٥ ٦٩ + ج٥ ٧٨.

٣ـ التنور

أوضحت الروايات ان نوح ما ان فرغ من بناء السفينة في مسجد الكوفة حتى أتى أمر الله (سبحانه وتعالى) وفار التنور ويفسر ذلك الامام الصادق عليه السلام عندما سأله المفضل: ((أرأيت قول الله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾[٨٠] (هود ٤٠) ما هذا التنور؟ وأنى كان موضعه وكيف كان؟.

فقال عليه السلام: ((كان التنور حيث وصفت لك. فقلت: فكان بدو خروج الماء من ذلك التنور؟ فقال عليه السلام: نعم، ان الله أحب ان يري قوم نوح الآية، ثم ان الله بعده أرسل عليهم مطرا يفيض فيضا، وفاض الفرات فيضا أيضا والعيون كلهن فيضا، فغرقهم الله تعالى وأنجى نوحا ومن معه في السفينة))[٨١] ج٥ ٧٠ وفي رواية أخرى: ((ومنه (مسجد الكوفة) فار التنور))[٨٢]. ج٥ ٦٩ + ج٥ ٧٨

٤ـ الطوفان

بعد ان فار التنور وحدث الطوفان وركب المؤمنون برسالة السماء الفلك، قام نوح بحمل البشرية بأجمعها على سفينة النجاة وهلك من هلك من الكافرين حتى ولده وذكر

ذلك الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: ((هذا هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح فقال ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[٨٣] هود ٤٣ فأوحى الله تعالى إليه: أيعتصم بك مني أحدا؟ فغار في الأرض وتقطع الى الشام))[٨٤] ج١٣ ٢٦٦، وهنا نطرح ما حدث أثناء الطوفان وبعده وكيف وضح الإمام الصادق عليه السلام ذلك وعلاقته بالكوفة.

سأل المفضل الإمام الصادق عليه السلام: ((... فقلت له: فكم لبث نوح ومن معه في السفينة حتى نضب الماء وخرجوا منها؟ فقال: لبثوا فيها سبعة أيام ولياليها وطافت بالبيت ثم استوت على الجودي وهو فرات الكوفة))[٨٥] ج٥ ٧٠ وضحت الرواية مسيرة السفينة من والى الكوفة وهذا ما نحتاجه في بحثنا، لقد اختار الله ارض الكوفة مهدا جديدا للبشرية ((وتفرق الجمع الذين كانوا مع نوح في السفينة))[٨٦] ج١٣ ٢٧١- ٢٧٢، وقام نوح بعد الطوفان بدفن تابوت ادم في الغري كما مر علينا في المبحث الأول وقام أيضا بعمل مهم وهو بناء المسجد من جديد ويعد هذا هو التأسيس الثاني لمسجد الكوفة فقد ذكر في تغيير خطته ((قلت فمن غيره عن خطته؟ فقال: أما أول ذلك فالطوفان في زمن نوح))[٨٧] ج٥ ٧٢ وهكذا قام نوح ببناء دولته العادلة في ارض الكوفة من جديدا وعلى هذا تعتبر الكوفة مهدا للإنسانية والحضارة المؤمنة بالله (سبحانه وتعالى) وبعد ان أكمل نوح رسالته نقل لنا الإمام الصادق عليه السلام اخر وصية لنوح اذ قال: ((... ووصى ابنه ان يدفنه في البقعة مع التابوت الذي كان لادم عليه السلام...))[٨٨] ج١٣ ٢٧٤.

وأكدت النصوص عن الإمام عليه السلام مدفن نوح في الغري بظهر الكوفة بين الذكوات البيض وقد ذكر ذلك في تسعة أحاديث عنه عليه السلام ومن أحب فليراجع[٨٩] ج١٣ ٢٧١-٢٧٤.

٥ـ إبراهيم عليه السلام.

استعرضنا في النقاط السابقة ارتباط الكوفة بالأنبياء والمرسلين وها هي ترتبط باسم نبي من أنبياء تولي العزم وهو إبراهيم عليه السلام فقد كان فيها بيته إذ يقول الإمام عليه السلام: ((كان بيت إبراهيم عليه السلام (مسجد السهلة) الذي خرج منه الى العمالقة))[٩٠] ج٥ ٨٥+٨٥-٨٦+٨٦-٨٧+٨٩، ويبدوا من الروايات انها كانت نقطة انطلاق إبراهيم لأداء مهامه الرسالة إذ يقول عليه السلام: ((ومنه سار إبراهيم الى اليمن بالعمالقة))[٩١] ج٥ ٨٧، ونستطيع معرفة عمق العلاقة بين الكوفة ونبي الله إبراهيم من خلال هذه الرواية: ((... وهو قطعة من الجبل الذي... واتخذ عليه

إبراهيم خليلا...))[٩٢] ج١٣ ٢٧١-٢٧٢ ويبدوا ان الله اختار أيضا ان يكون مدفن إبراهيم في ارض الكوفة كما جاء في الرواية: ((الكوفة روضة من رياض الجنة فيها قبر نوح وإبراهيم...))[٩٣] ج١٣ ٢٧٤، المعروف ان قبره عليه السلام في بابل لكن استظهارا من حديث الإمام عليه السلام فان بابل تكون ضمن أراضي الكوفة.

٦ـ موسى عليه السلام.

تعود الكوفة من جديد لتشارك في قصة موسى عليه السلام اذا يقول الإمام عليه السلام في معرض كلامه عن الغري ((... وهو قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليما...))[٩٤] ج١٣ ٢٧١-٢٧٢ وليس بعجيب إذ ان الرواية تقول ان كليم الله كلم ربه في هذه الأرض وهذا ما عرفنها في المبحث الاول من الفصل الثاني عن الكوفة والقران الكريم.

٧ـ الخضر عليه السلام.

تكلمت الروايات عن الخضر عليه السلام انه كوفي المقام فعند حديث الإمام عليه السلام عن مسجد السهلة قال: ((وانه لمناخ الراكب قيل: ومن (ما) الراكب؟ قال: الخضر عليه السلام))[٩٥] ج٥ ٨٧-٨٨، وفي رواية أخرى: ((... وفيه مسكن الخضر عليه السلام))[٩٦] ج٥ ٨٩، و: ((فيه مناخ الراكب))[٩٧]. ج٥ ٨٨-٨٩.

٨ـ داوود عليه السلام.

ذكرت روايتين عن الإمام عليه السلام بنفس المضمون ان داوود عليه السلام انطلق من مسجد السهلة الى جالوت: ((... ومنه سار داوود الى جالوت...))[٩٨] ج٥٨٧-٨٨ +٨٨، من هاتين الروايتين نحتمل أمرين، الأمر الأول ان مسجد السهلة كان بيت داوود عليه السلام وهو ليس ببعيد وهو منزل الأنبياء والمرسلين، والأمر الثاني انه جاء الى مسجد السهلة للعبادة والصلاة ثم سار منه الى قتال جالوت تحت راية طالوت وأيضا هذا الاحتمال ليس ببعيد ولكن الأقوى هو انه كان منزله.

٩ـ منازل الأنبياء والمرسلين والأوصياء ومدافنهم في الكوفة.

أ - المصلى:

عن الامام الصادق عليه السلام ((فلما انتهى به الى دار السلام - وهو ظهر الكوفة - وهو

يريد بيت المقدس قال له: يا محمد هذا مسجد أبيك ادم ومصلى الأنبياء))[٩٩] ج٥ ٧٠ وبنص اخر: ((فقلت له ان مسجد الكوفة لقديم ! فقال عليه السلام: نعم وهو مصلى الأنبياء))١٠٠ ج٥ ٧٠ وفي حديث آخر يرويه الإمام عليه السلام عن جده أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((وصلى فيه سبعون نبيا وسبعون وصيا انا احدهم)) ١٠١ ج٥ ٧٩-٨٠ ويظهر من هذه الأحاديث ان ظهر الكوفة والكوفة هما مصلى الأنبياء.

ب - المنازل:

قال الامام الصادق عليه السلام: ((وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين))١٠٢ ج٥ ٨٧

ت - القبور:

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((وفيها قبور النبيين المرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين،...))١٠٣ ج٥ ٨٧

وقال عليه السلام : ((الكوفة روضة من رياض الجنة، فيها قبر نوح وإبراهيم، وقبور ثلاثمائة نبي وسبعين نبيا، وستمائة وصي، وقبر سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام))١٠٤ ج١٣ ٢٧٤-٢٧٥ بالإضافة الى ما ورد في تراثنا ان قبور الأئمة هي بقع من بقاع الجنة.

وبذلك يعرف الإمام الصادق عليه السلام الكوفة، بأنها موطن الأنبياء والمرسلين والأوصياء، فهي المصلى والمنزل والقبر.

١٠ـ رسول الله صلى الله عليه وآله.

تشرفت الكوفة بسيد الأنبياء والمرسلين حين اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وعرج به الى السماء كما هو واضح من الرواية ((حتى ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما اسرى الله به قال له جبرئيل: اتدري اين انت الساعة يا رسول الله؟ انت مقابل مسجد كوفان)) ١٠٥ ج٥ ٧٠

الإمام الحجة (عج).

مشهور عندنا وفق ما ورد من نصوص ان الإمام الحجة (عج) سيختار الكوفة والنجف عاصمة لدولة العدل الإلهية وما يثير الاستفهام في هذا الطرح عن سبب عزوفه (عج) عن

مقام أجداده الكرام عليهم السلام في المدينة المنورة !!! لماذا سيختار الكوفة منزلا ومنبرا؟.

من الناحية العقائدية الإمام (عج) هو الأعرف بما يفعل ولا يسال عن ذلك اعتراضا، لكنا نستشف من اختيار جده أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة عاصمة له، إنما هو ذات السبب الذي سيدعوه الى التوجه إليها حيث انها محل أنصاره وأعوانه.

تشير الروايات الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام الى عنوانين مهمين الأول تواجد الإمام الحجة (عج) في الكوفة وقد صرح بانها مقام القائم (عج) قال عليه السلام: ((وفيها (الكوفة) يكون قائمه والقوام من بعده))١٠٦ ج٥ ٨٧+٨٨ والمقصود هنا استمرارية تواجد الإمام المهدي (عج) فيها وهو ما تأكده رواية أخرى: ((... قلت جعلت فداك لا يزال القائم فيه (السهلة) أبدا؟ قال: نعم)) ١٠٧ ج٥ ٨٩.

والعنوان الثاني هو المنزل وقد تكررت ثلاث روايات في هذا المضمون مع اختلاف طفيف في اللفظ، قال عليه السلام: ((كأني أرى نزول القائم عليه السلام في مسجد السهلة بأهله وعياله، قلت: يكون منزله؟ قال: نعم هو منزل إدريس عليه السلام)) ج٥ ٨٦، وبلفظ اخر: ((اما انه منزل صاحبنا إذا قام بأهله))١٠٨ ج١٣ ٢٨٥.

العنوان الثالث هو المنبر، وقد ذكر هذا المصطلح في أكثر من مورد ولا يخفى ان مصطلح المنبر له من الأهمية الكبرى في دولة الإمام الحجة (عج) حيث انه يمثل الأداة الإعلامية له (عج) وموضع المنبر في الكوفة جاء مبهما بعض الشيء فقد زار الإمام الصادق عليه السلام قبر أمير المؤمنين عليه السلام مع احد أصحابه فيقول: ((فركب وركبت حتى دخل الجرف ثم نزل فصلى ركعتين ثم تقدم قليلا اخر فصلى ركعتين ثم تقدم قليلا اخر فصلى ركعتين ثم ركب ورجع فقلت له: جعلت فداك ! ما الاولتين وما الثانيتين والثالثتين؟ قال: الركعتين الاولتين موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام والركعتين الثانيتين موضع رأس الحسين عليه السلام والركعتين الثالثتين موضع منبر القائم عليه السلام))١٠٩ ج١٣ ٢٨٥ وهنا نطرح سؤالا مهما هل هذه المواضع الثلاثة في مكان واحد؟ لأننا وللوهلة الأولى عند قراءة الرواية نجد انها موضع واحد ولكن اذا دققنا فيها جيدا نجد ان الرواية تتكلم عن ثلاث أماكن لا واحد، وهذا ما نعرفه من الموضع الثاني (موضع رأس الحسين عليه السلام) فسنعرف انه ما يعرف حاليا بمسجد الحنانة حيث قال موضع ولم يقل قبر رأس الحسين عليه السلام كما قال موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلامفهنا عين انه

قبر كما جاء في المبحث الأول في تعيين قبر رأس الحسين عليه السلام ومن هنا نعرف ان الإمام عليه السلام أولا صلى عند القبر الشريف لأمير المؤمنين عليه السلام ثم تقدم قليلا وصلى في موضع رأس الحسين عليه السلام (مسجد الحنانة حاليا) ثم تقدم قليلا وصلى في موضع منبر القائم (عج) وهنا محل البحث في هذه النقطة أين موضع المنبر؟ وهنا أربع احتمالات:

١- ان يكون عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

٢- ان يكون في مسجد الكوفة.

٣- ان يكون في مسجد السهلة.

٤- ان يكون في مكان قريب من الكوفة وقريب من النجف لان الإمام عليه السلام سار من الحنانة يعني ان موضع المنبر قريب لأنه قال (ثم سار قليلا).

اما الاحتمال الأول فضعيف بسبب ما ذكرنا سالفا وأما الاحتمال الثاني في مسجد الكوفة، فمسجد الكوفة معروف لدى الناس لماذا جهله الراوي في الرواية اما الاحتمال الثالث فهو مسجد السهلة وهذا الاحتمال يضعف من جهة ان المسجد أيضا كان معروفا فلماذا لم يعرفه الراوي؟ ويقوى هذا الاحتمال من جهة ان مسجد السهلة هو منزل القائم (عج) والرواية التي نناقشها جاءت بسند اخر مع اختلاف في الموضع الثالث حيث يقول (وموضع منزل القائم)١١٠ ج١٣ ٢٨٧ ولكن المهمش على الكتاب ذكر ان في كامل الزيارات ورد: منبر القائم (عج) المصدر السابق، وهذا التردد يقوى بعض الشيء ان منبره في مسجد السهلة ولكن يبقى الاحتمال الرابع وهو ليس ببعيد وذلك لان هذا المكان مجهولا بالنسبة للراوي حتى سأل الإمام الصادق عليه السلام عنه فأجابه بأنه موضع منبر القائم ولكن لماذا لم يعرف مقام المنبر بحسب هذا الاحتمال فيما بعد، اذا يبقى الاحتمال الثالث هو الأقوى والأوجه والله العالم.

نستقرأ مما سبق ان الإمام (عج) يكون مقامه الدائم في الكوفة ويكون منزله فيها ومنبره الإعلامي ينطلق من ارض الكوفة الى العالم اجمع بل ان انطلاقته منها كما نستشفه من هذه الرواية إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((اما اني لو كنت بالقرب منكم ما صليت إلا فيه (السهلة). ثم اذا قام قائمنا عليه السلام انتقم الله لرسوله ولنا أجمعين))١١١ ج٥ ٨٦.

الخاتمة:

عرفنا ان روايات الامام الصادق عليه السلام من هاذين الكتابين استطاعت ان تعطينا جوانب مهمة عن الكوفة ورسالتها التي كلفت بها فالكوفة على قراءة اهل البيت رسالية في ماضيها ومستقبلها ومن هذا السفر عرفنا كم هي مظلومة الكوفة عندنا اذ قراناها قراءة اموية وعباسية ولم نقرئها قراءة علوية.

هوامش البحث

(١) الكوفة ٧٠.
(٢) تاريخ الكوفة ١٥٥.
(٣) المصدر السابق ١٥٥-١٥٦.
(٤) المصدر السابق ١٥٤.
(٥) المصدر السابق ١٥٢.
(٦) شرح احقاق الحق ج٣٢ ٤٧٢.
(٧) الكوفة واهلها في صدر الاسلام ٤٧٢.
(٨) الحسين في مواجهة الضلال الاموي ٧٩.
(٩) الامام الصادق والمذاهب الاربعة ج١ ٤٥.
(١٠) جهاد الامام السجاد ٥٩
(١١) الامام الصادق كما عرفه علماء الغرب ١١٠-١١٢.
(١٢) وسائل الشيعة (الاسلامية) ج١ ١٢.
(١٣) المصدر السابق ج١ ١٢.
(١٤) مهج الدعوات ٢٠٢.
(١٥) وسائل الشيعة (الاسلامية) ج١ ١٢.
(١٦) تاريخ الكوفة ٤٥٢.
(١٧) تاريخ ال زرارة ٣٨.
(١٨) المصدر السابق ١٣.
(١٩) المصدر السابق ١٤.
(٢٠) المصدر السابق
(٢١) تاريخ الكوفة ٤٥٠-٤٦٣.

(٢٢) القصص اية ٣٠.
(٢٣) وسائل الشيعة ومستدركها ج١٣،٢٩١.
(٢٤) وسائل الشيعة (آل البيت) ج١٤، ٣٧٧.
(٢٥) وسائل الشيعة ومستدركها ج١٣،٢٧١-٢٧٢.
(٢٦) هود ٤٠.
(٢٧) هود ٤٤.
(٢٨) وسائل الشيعة ومستدركها ج٥، ٧٠.
(٢٩) المصدر السابق ج١٣، ٢٧١-٢٧٢.
(٣٠) المؤمنون ٥٠.
(٣١) وسائل الشيعة ومستدركها ج١٣، ٢٩٠-٢٩١.
(٣٢) وسائل الشيعة ومستدركها ج١٣، ٢٧٤.
(٣٣) وسائل الشيعة ومستدركها ج٥، ٨٧.
(٣٤) المصدر السابق ج٥ ٧٤.
(٣٥) المصدر السابق ج٥ ٧٤.
(٣٦) المصدر السابق ج٥ ٧٧.
(٣٧) المصدر السابق ج٥ ٧٠.
(٣٨) المصدر السابق ج١٣ ٢٧١.
(٣٩) المصدر السابق ج١٣ ٢٦٢.
(٤٠) المصدر السابق ج٥ ٦٨-٨٥.
(٤١) المصدر السابق ج٥ ٨٥-٩٠.
(٤٢) المصدر السابق ج١٣ ٢٧٤.
(٤٣) المصدر السابق ج١٣ ٢٦٥.
(٤٤) المصدر السابق ج١٣ ٢٦٥-٢٦٦.
(٤٥) المصدر السابق ج١٣ ٢٧٥.
(٤٦) المصدر السابق ج١٣ ٢٨٨.
(٤٧) المصدر السابق ج١٣ ٢٧٤.
(٤٨) المصدر السابق ج١٣ ٢٨٨.
(٤٩) المصدر السابق ج١٣ ٢٨٧.
(٥٠) المصدر السابق ج١٣ ٢٨٧.
(٥١) المصدر السابق ج١٣ ٢٨٨.
(٥٢) المصدر السابق ج١٣ ٢٨٦-٢٨٧.

(٥٣) المصدر السابق ج١٣ ٢٨٥-٢٨٦ و ج١٣ ٢٨٦.
(٥٤) المصدر السابق ج١٣ ٢٨٦.
(٥٥) ج٥ ٧٢.
(٥٦) ج٥ ٧٣.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القران الكريم.

- موسوعة سيرة اهل البيت عليهم السلام: القرشي، الشيخ باقر شريف: تحقيق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف- مؤسسة الامام الحسن عليه السلام، النجف الاشرف، الطبعة الثانية / ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢.
- تاريخ الكوفة: البراقي النجفي، السيد حسين بن السيد احمد (١٣٣٢ هـ): تحقيق: ماجد بن احمد العطية، انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الاولى / ١٤٢٤هـ.
- الامام الصادق عليه السلام والمذاهب الاربعة : حيدر، اسد: تحقيق: نشر الفقاهة، نشر الفقاهة، قم، الطبعة الاولى / ١٤٢٧ هـ.
- الحسين في مواجهة الضلال الاموي: البدري، سامي: دار الفقه للطباعة والنشر، العراق، بغداد، الطبعة الثانية / ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
- الكوفة: الطريحي، محمد سعيد، اكاديمية الكوفة ودار الموسم للاعلام، هولندا /١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- وسائل الشيعة ومستدركها: الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، و: النوري، ميرزا حسين، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، الطبعة الاولى / ١٤٣٠ هـ .
- شرح احقاق الحق: المرعشي النجفي. السيد شهاب الدين:.....
- جهاد الامام السجاد عليه السلام: الجلالي: السيد محمد رضا: الطبعة الاولى / ١٤١٨ هـ.
- تاريخ ال زرارة: الزراري، ابو غالب (٣٦٨هـ):..... / ١٣٩٩ هـ.
- وسائل الشيعة: الحر العاملي، محمد بن الحسن (١١٠٤هـ): تحقيق: الرباني الشيرازي، عبدالرحيم: الاسلامية، الطبعة الخامسة / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الكوفة واهلها في صدر الاسلام: العلي، د.صالح احمد: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.....